(٨)

مصر وحزب الله

اللافت للنظر أن مصر الرسمية مصرة على اتخاذ موقف من حزب الله لا يتسم بالعداء بقدر ما يتسم بالنقد المستمر والمتكرر. وكانت الإشارات الأولى عندما أعلن الرئيس مبارك خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ نقده لعملية خطف الجنديين الإسرائيليين من جانب مقاتلي حزب الله. وأوضح الرئيس مبارك في تصريحات متفرقة أن الحزب جزء من التشكيلة الوزارية اللبنانية، وأنه اتخذ قرار خطف الجنديين وهو يعلم بالآثار والرد الإسرائيلي ومع ذلك لم يتشاور مع بقية أعضاء الحكومة حتى يمكن اتخاذ الترتيبات اللازمة لإعداد البلاد لهذه الآثار المدمرة.

كان واضحاً أن نقد الرئيس للحزب ينصب أساسا على فداحة الدمار الذي لحق بلبنان، وعدم التناسب بين خطف جنديين وبين كل هذا الدمار، وهو نقض كان يجب أن يوجه إلى إسرائيل وليس لحزب الله. وافترض الرئيس أن الحزب أقدم على الخطف وهو مدرك لاحتمالات الرد الإسرائيلي، خلافاً لحالات الخطف السابقة.

ورغم تأكيد السيد حسن نصر الله أمين عام الحزب الذي أعلن مرات عديدة أن سياسة الحزب هي اللجوء إلى الخطف لكي يبادل المخطوفين مع الأسرى الذين أمضوا عقوداً في السجون الإسرائيلية والذين تضم قائمتهم لبنانيين وفلسطينيين وعرباً آخرين غيبتهم ظلمات هذه السجون والتغذيب الوحشي لهم، وليسوا على أجندة أحد في العالم العربي وكأن قضيتهم أمر مشين للعالم العربي ويسيء إليه وأنه من العار الحديث عن هذه القضية.

ولكن الرئيس مبارك كرر موقفه دون أن يبدو أنه أخذ في الاعتبار إيضاحات الحزب، وربما كان بذلك يرد على الملاحظات القاسية ضد بعض الزعماء العرب. ولكن القضية في ظني ليست رد الرئيس أو تأكيد موقف لأن مصر دولة كبرى ولا بد أن يحظى موقفها بالتحليل المنطقي وأن تتحدد المصلحة الوطنية وراء هذه المواقف.

في نفس الاتجاه تواترت تصريحات وزير الخارجية المصري التي تنتقد حزب الله على أساس أن الحزب ينفذ أجندة أجنبية بعيدة عن المصالح اللبنانية، وأن خطف الجنديين كان خطأ مقصوداً ويهدف إلى أن يفلت الحزب من استحقاق نزع سلاحه في إطار الحوار الوطني واضاف إلى ذلك أن حزب الله تسبب في المزيد من احتلال الأراضي اللبنانية أي أن تصرف الحزب سبب العكس من منظور المصلحة اللبنانية.

هذا الموقف الرسمي المصري يسانده موقف فكري وثقافي لعدد من الكتاب من بينهم مفكرون لهم علاقات دافئة مع الولايات المتحدة، وبعضهم ينتقد الحزب من موقع طائفي، أو من موقع علماني يعادي الخط الديني الإسلامي أصلاً. على الجانب الآخر يقف الشارع المصري كله تقريباً مع حزب الله ويصدق بياناته. هذا التقابل التام بين الموقف الرسمي وبعض الموقف الفكرية المحدودة للغاية في مصر لابد له أسبابه التي يتعين تحليلها في هذه المقالة.

أما الموقف الرسمي المصري، فمن الواضح أنه لم يتفادى اتهام الحزب صراحة بأنه ينفذ أجندة محددة سورية أو إيرانية، وهو يقدح بذلك في وطنية الحزب ولبنانيته. من الواضح أيضاً أن مواضع النقد المصري للحزب تكرار للموقف الذي تؤكده قوى ١٤ آزار في لبنان، كما تلتقي بغير تفصيل كثير مع بعض المواقف الرسمية العربية.

من الواضح ثالثاً أن الموقف الرسمي المصري أدان العدوان الإسرائيلي والدمار الذي سببه، وطالب بالموقف الفوري لإطلاق النار، كما بادرت مصر إلى إصلاح الخلل الذي اعترى قرار مجلس الأمن ١٧٠١ وطالب الجميع باحترامه على أية حال طلبا للهدوء في لبنان، كما تبدى مصر الرسمية قلقها على تطورات الوضع الداخلي للبنان حتى قبل العدوان وكان لها بعض المساعي لإنجاح الحوار الوطني وتجنب الحدة التي قد تشعل الحرب الأهلية من جديد.

من الواضح رابعاً أن موقف مصر يؤثر بشكل ما حتى في ظل انسحاب الدور المصري وانكماشه وانكفائه على نفسه، ولسوء الحظ فإن موقف مصر مع دول أخرى منذ يوم ١٣ /٢٠٠٦/٧ أي يوم اليوم التالي للعدوان الإسرائيلي، كان له أبلغ الأثر على الموقف الإسرائيلي والأمريكي في الحرب، بل تجاسرت إسرائيل على البوح بأن زعماء عرباً اتصلوا

بها لتشجيعها على سحق حزب الله. فالثابت حقاً أن هذا الموقف استفز الشارع العربي والإسلامي وأشار بأصابع اتهام ظلت تكبر كلما أمعنت إسرائيل في عدوانها، وعانت من صمود الحزب وانهيار المخطط الإسرائيلي.

الثابت أيضاً أن إسرائيل التي أوهمت نفسها بأن المواقف الرسمية العربية تؤيد عدوانها وتباركه أوهمت نفسها أيضاً بأن حزب الله مكروه ومعزول في العالم العربي، وأن سحقها له هو فرض كفاية عن هذا العالم العربي الذي يقدر لها حسن صنيعها ويدخلها إلى قلوب العرب بهذا العمل القدري. والذي لابد أن تعلمه إسرائيل جيداً هو أن حسن نصر الله تحول إلى أيقونة ورمز وتحول الحزب خارج لبنان إلى رمز للصمود في مواجهة غطرسة القوة والإذلال والتواطؤ المكشوف بين إسرائيل وأمريكا.

وإذا كان المقام لا يتسع لتحليل مدلول بعض المواقف العربية، فإنه تكفي الإشارة إلى أن فشل إسرائيل في توظيف قوتها العسكرية والغطاء الدبلوماسي الهائل والذي توفر لها واعترافها منذ البداية بأنها تنفذ خطة مدبرة وأنها أصبحت مؤهلة لكي تنفذ في حزب الله قرارات مجلس الأمن الذي لم تحترمه يوماً قد أشعل الحماس في الشارع العربي والإسلامي للحزب وأمينه العام وهو يلحظ بالأسى السكوت العربي الشامل، حتى خرجت من هذا الشارع كل صور الإدانة والاتهام للحكومات العربية واستعلى هذا الشارع على بعض التلميحات الطائفية الصادرة عن بعض الحكومات العربية، واستغربت أن تدين هذه الحكومات المؤامرة الأمريكية الطائفية في العراق في الوقت الذي تمارس الشيء نفسه مع حزب الله.

ولكن الذي يهمنا في هذه المقالة بشكل محدد تلك الأسئلة الملحة في تحليل الموقف المصري من حزب الله.

فلماذا تعادي مصر حزب الله وتدخل نفسها طرفاً في صراع لبناني داخلي وأين مصلحتها في ذلك؟ ولماذا يؤيد الشارع المصري وجميع القوى السياسية المصرية بلا استثناء، بينما تقف الحكومة موقفاً معاكساً؟

هذا السؤال يطرح بإلحاح على الحكم في مصر حتى يوضح للشعب هذا الفارق الضخم في الموقف من حزب الله. ألا يدافع الحزب عن أرض لبنانية وألا يدافع ضد أعتى آلة حربية

معتدية إسرائيلية، وألا يسعى الحزب إلى تحرير الأسرى العرب؟ وحتى لو التقت المصالح السورية والإيرانية مع حزب الله ضد إسرائيل والولايات المتحدة، أليس ذلك أمر يتعلق بمعركة واشنطن وإسرائيل مع أعدائهما؟ ولماذا تنكر مصر أن يتلقى حزب الله اللبنانى المساندة من سوريا وإيران وحتى من الشيطان ما دام يدافع عن أرضه، بينما لم تنكر تبجح أمريكا بمساندتها لإسرائيل في عدوانها بكل أنواع الأسلحة المحرمة والعالم كله يتفرج على هذا المشهد المخزي.

وألا تدرك الحكومة المصرية أن موقفها بعيد للغاية عن موقف شعبها، وهل كانت مصر الرسمية تأمل حقاً أن تنتصر إسرائيل وتسحق حزب الله وتحتل لبنان حتى يقال إن نقد الحزب في البداية نابع من بعد النظر والحكمة، وأن الحزب لم يحسب للأمر حسابه وأن طيشه واندفاعه أعمياه عن جدية تحليل النتائج المختلفة. وهل تحرص مصر الرسمية على المخطوفين الإسرائيليين بينما لا يهمها الأسرى العرب ما دام الحديث عن هؤلاء الأسرى سيقلب المواجع على أسرانا الذين أعدموا وهم أمانة في يد القوة الغاشمة الآسرة دون أن تحرك مصر ساكناً، أم أن إرغام حزب الله إسرائيل على اتباع قواعد لعبة مختلفة معه قوامها الجدية يحرج الحكومات العربية جميعاً وبشكل أخص مصر الرسمية التي تتسامح بشكل لافت مع العبث الإسرائيلي المتكرر بأرواح جنودنا داخل منطقة الحدود المصرية الإسرائيلية. وما هي المصلحة التي تعود على مصر من موقف مصر الرسمية من حزب الله ومواصلة نقده في هذا الظرف الدقيق الذي يوزع فيه الحزب اهتمامه على الحملة الدولية ضده لإضعافه وتحجيمه ومنعه من الرد على تطاولات إسرائيل وتماديها ضد لبنان كما يرجز اهتمامه على الساحة الداخلية بعد أن أدى تدويل المسألة اللبنانية خاصة بعد العدوان الأخير إلى خلط الأوراق الداخلية والدولية لصالح إسرائيل. وما هي مصلحة مصر في نزع سلاح حزب الله، كما أننا نتساءل أيضاً عن مصلحة مصر في الاشتراك في الحملة الدولية لحصار الشعب الفلسطيني وإسقاط حماس لصالح فتح وتدهور الأوضاع ودخولها إلى حرب أهلية.

إذا كانت مواقف مصر الرسمية تعبر عن مزاج شخصى فلا نظن أن هذه المسألة يصح فيها العفوية والتعبير التلقائى عما تكنه قلوب الساسة، أما إن كانت المواقف مدروسة فإننا

نأمل بصدق أن يتفضل الحكم بتوضيح الاعتبارات والمصالح التي جعلت موضوع حزب الله الشاغل اليومى تقريباً لوزير الخارجية. وإذا كان مفهوما ، وإن لم مقبولا ، أن يفسر موقف الحكم من حماس بمقاييس المسرح الداخلى المصري وعليه لاعب جديد هو الإخوان المسلمون، وعلاقة الإخوان بحماس، فهل نفس المقاييس هي نفسها التي تدفع إلى الخشية من أن ارتفاع أعلام الحزب ترفع أعلام الإخوان في مصر والتيار الإسلامى عموماً؟. وهل لو كان حزب الله حزباً مسيحياً وتصادف جدلاً أن كان حليفاً لأمريكا ويدافع عن لبنان ضد إسرائيل، فهل موقف مصر الرسمية سوف يتغير؟